جامعة المنصورة
كليـة الآداب

دراسة تحليلية للأنظمة الزراعية في اليمن
(٦٢٦ – ٧٢١هـ / ١٢٢٩ – ١٣٢١م)

إعـــداد
دكتور/ عبدالعزيز عبدالله محمد أبو داهش
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ
كلية العلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد
أبها – المملكة العربية السعودية

مجـلة كلـية الآداب – جامعـة المنصـورة
العدد الواحد و الستون – أغسطس ٢٠١٧

دراسة تحليلية للأنظمة الزراعية في اليمن
(٦٢٦ – ٧٢١هـ / ١٢٢٩ – ١٣٢١م)

د. عبدالعزيز عبدالله محمد أبو داهش

ملخص البحث:

وصل نور الدين عمر بن علي بن رسول، أول سلاطين بني رسول، مع حملة توران شاة بن أيوب لليمن في سنة ٥٦٩/ ١١٧٣، بعدها مهد نور الدين لقيام دولة بني رسول والاستقلال بحكم اليمن. وعلى نفس النهج سار ابنة الملك المظفر يوسف بن عمر في تحقيق الوحدة السياسية لدولته، ومن بعده ابنه الأشرف الأول ثم المؤيد حتى توفي سنة ٧٢١/ ١٣٢١. لا شك أن الفترة الطويلة التي حكم فيها بني رسول منطقتي تهامة وجنوب اليمن، أكثر من قرنين من الزمن، كانت مهمة في التاريخ المبكر وتاريخ العصور الوسطى لليمن. فكتب الرسوليين في العديد من التخصصات، بدءا من التاريخ والسيرة إلى علم الأنساب والزراعة. ذروة الإنتاج والتنوع الزراعي في اليمن كانت في عهد بني رسول، حيث سيطرت الدولة على الإنتاج الزراعي في أجزاء كثيرة من البلاد. اعتمدت الدراسة الحالية على مصادر رسولية مهمه أخذت شكلا جديداً في التدوين والكتابة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن من شارك في تدوين هذه المصادر هم كُتّاب وموظفو الدولة الرسولية. تُركز الدراسة الحالية على النظم والقوانين التي سنتها الدولة الرسولية في الشأن الزراعي ومدى تأثير ذلك على العائد المادي لخزينة الدولة. وتبدأ فترة الدراسة منذ نشأة الدولة الرسولية وحتى نهاية عهد الملك السلطان المؤيد داود بن يوسف. تتحدث الدراسة عن: السياسات والقوانين المتعلقة بـــ "عمارة الأرض"، أي زراعة الأراضي لزيادة المحاصيل الزراعية، والتقاويم الزراعية التي تحدد أوقات سقوط الأمطار وزراعة المحاصيل وغيرها من الأنشطة المتنوعة التي يقوم بها المزارعون. وفي نفس السياق الحديث عن تربة اليمن وأنواعها وجودتها وقوانين حرثها وتسميدها والأجور. ونظام الري ومصادرة والقوانين التي سنتها الدولة. وكذلك القوانين التي تتعلق بنظام بيع وشراء وتأجير الأراضي الزراعية، وأيضاً نظام الشراكة الزراعية أو حصة الزراعة مع ذكر أهم المحاصيل الزراعية في ذلك الوقت والقوانين المتعلقة بها. وفي نهاية الدراسة خاتمة لأهم النتائج من أهمها أن معظم مناطق اليمن صالحة للزراعة مما حدا بالدولة الرسولية إلى حث الناس على زراعة وفلاحة الأراضي الصالحة للزراعة الواقعة على مصاب المياه وذلك بسن القوانين المنظمة لها مروراً بتسويق المنتج الزراعي محلياً أو خارجياً.

Abstract

Nur al-Din Umar b. Ali b. Rasul, the first sultan of the Rasulid state, arrived with the campaign of Turan Shah b. Ayyub to the Yemen in 569/1173. Later, Nur al-Din started to establish an independent state in the Yemen. On the same approach, his son the sultan al-Muzaffar Yusuf achieved a political unity of the Rasulid state, followed by his sons al-Ashraf and then Al-Muayad who died in 721 / 1321. There is no doubt, that the long duration of the Rasulids rule in Tihama and South Yemen was important to the early and medieval history of the Yemen. The Rasulids wrote in many topics ranging from history and biography to genealogy and agriculture. The peak of agricultural production and its varieties, in the Yemen, was in the Rasulids' era, where the state controlled agricultural production in many parts of the country. The present study is based on important Rasulid sources that took a new form in writing and documenting. This is, probably, because those who participated in the writing of these sources were the clerks and officials of the Rasulid state. The present study focuses on the laws and regulations enacted by the Rasulids in the field of agriculture and its impact on the state treasury. The period of the study begins from the foundation of the Rasulid State until the end of the reign of the sultan al-Muayad b. Yusuf. This study deals with: land-agriculture "'Imara" policies and laws, ie cultivation of land to increase agricultural crops, agricultural almanac that determine the times of rainfall, crop cultivation and other diverse activities carried out by farmers. In the same context, it talks about the soil of the Yemen and its types, quality, laws of plowing, fertilization and wages. It, also, concentrates on Irrigation system, confiscation and laws enacted by the Rasulids as well as the laws relating to the system of sale, purchase and lease of agricultural lands. In addition, it informs us about the system of agricultural partnership or share and the most important agricultural crops at the time. In conclusion, the most important results are mentioned such as the Yemen's areas were suitable for agriculture, which prompted the Rasulid State to urge people: farmers and peasants to cultivate lands located on the water-falls, and issued the laws and regulations and methods of marketing agricultural products locally or externally.

مقدمة

وصل نور الدين عمر بن علي بن رسول، أول سلاطين بني رسول في اليمن،[1] مع حملة توران

[1] للمزيد عن التاريخ السياسي لدولة بني رسول، هناك مصدران مهمان هما: ابن حاتم، بدر الدين بن محمد. كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن. تحقيق ريكس سمث، لندن: ميسرس لوكاس وكومباني المحدودة، ١٩٧٤.، من الواضح ان الكتاب ذو أهمية وقيمة في معرفة تاريخ الأيوبيين والرسوليين في اليمن. فالكتاب يحتوي على مقدمة موجزة عن التاريخ العام بما في ذلك قائمة عن الحكام الأيوبيين

شاة بن أيوب لليمن في سنة ٥٦٩/ ١١٧٣.[٢] عندما توجه آخر سلاطين بني أيوب السلطان المسعود إلى مصر سنة ٦٢٦/ ١٢٢٩ مات في مكة المكرمة سنة ٦٢٦هـ، عندئذ مهد نور الدين لقيام دولة بني رسول والاستقلال بحكم اليمن بسبب ما مر بدولة بني أيوب من ضعف، وجعل من زبيد عاصمة له ثم تعز. ارسل نور الدين هدية للخليفة العباسي المستنصر بن الظاهر سنة ٦٣١/ ١٢٣٤، وطلب أن ينوب عنه باليمن كتقليد وتشريف، فأرسل له الخليفة التقليد والتشريف في سنة ٦٣٢/ ١٢٣٥. وبهذا يكون نور الدين وبصفة شرعية سلطاناً مستقلاً بحكم اليمن ولقب نفسه بالملك المنصور وضرب السكة باسمه.[٣] بعد أن أسس الملك المنصور دولته باليمن سنة ٦٢٦/ ١٢٢٩،[٤] نجح في ضم أكبر مساحة ممكنة من البلاد وتحقيق الوحدة السياسية للبلاد،[٥] وعلى نفس النهج سار ابنة الملك المظفر يوسف بن عمر في تحقيق الوحدة السياسية لدولته،[٦] ونجح في استعادة مدينة زبيد سنة ٦٤٧/ ١٢٤٩، كبداية لفرض سيطرته على تهامة.[٧] عندما نقل المظفر عاصمته إلى تعز بدلاً من زبيد تمكن من السيطرة على المدن والحصون المجاورة وعقد الصلح مع مشايخ القبائل المجاورة،[٨] واستمر حكمه حتى سنة ٦٩٤/ ١٢٩٤.[٩]

والرسوليين، ثم ينتقل بشكل سريع لسرد الوقائع التاريخية. السمط الغالي يغطي كامل فترة الحكم الأيوبي من الفتح عام ٥٦٩/ ١١٧٣ وينتهي بموت الحاكم الرسول الثاني، الملك المظفر في عام ٦٩٤/ ١٢٩٤. وعن مكانة كتاب ابن حاتم السمط الغالي في تاريخ العصور الوسطى لليمن، انظر مقالة للمحقق ريكس سميث:

"Ibn Hatim's Kitab al-Simt and its place in medieval Yemenite historiography", Studies in the History of Arabia: Sources for the History of Arabia, University of Riyadh, 1978.

المصدر الثاني لـــ الخزرجي، علي بن الحسن. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية. تحقيق محمد عسل، القاهرة: مطبعة الفجالة، ١٣٢٩/ ١٩١١. كما يشير العنوان، هو تاريخ بني رسول. فيبدأ الخزرجي بنسب بني رسول وانحدارهم من ملوك الغساسنة، ثم يعطي نبذة موجزة عن اليمن ما قبل الإسلام وقصة السد المشهور في مأرب. بعد ذلك يتحدث عن الفترة الأيوبية مع التركيز على الجزء الذي لعب من خلاله الأمراء الرسوليين دورهم كمستشارين للأيوبيين. ينتهي الكتاب بوفاة الملك الرسولي الأشراف في عام ٨٠٣/ ١٤٠٠

[٢] الخزرجي، العقود، ج ٣، ص ١١٣.

[٣] الخزرجي، العقود، ج١، ص ٥١–٨٥، ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف. الدليل الشافي على المنهل الصافي. تحقيق محمد شلتوت، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٣، ج١، ص ٥٠٢–٥٠٣.

[4] Smith, G. R. "The Ayyubids and Rasulids: the transfer of power in 7th-13th-century Yemen", Islamic Culture, Hyderabad, 1969., p. 10.

[٥] بامخرمة، أبو عبدالله الطيب بن عبدالله. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر. صورة بدار الكتب المصرية، رقم: ١٦٧.، ج ٣، ٧١ أ، ب.

[٦] ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي. كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون. تحقيق محمد الأكوع، القاهرة: المطبعة السلفية، بدون تاريخ، ج ٢، ص ٢٣.

[٧] أحمد، محمد عبدالعال. بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية. الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص ١٢١، ١٢٣.

[٨] العقيلي، محمد بن أحمد. تاريخ المخلاف السليماني، الطبعة الثانية، ١٩٨٢، ج ١، ص ٢٤٤، ابن فهد، النجم عمر بن فهد. اتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق عبدالكريم الباز، مكة المكرمة: مطبعة جامعة أم القرى، ١٤٠٨/ ١٩٨٨، ج ٣، ص ٨١.

[٩] عليان، محمد عبدالفتاح. الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن. رسالة دكتوراه: جامعة القاهرة، ١٩٧٣، ص ٥٥.

جاء بعد المظفر ابنه الأشرف الأول (٦٩٤-٦٩٦ / ١٢٩٤-١٢٩٦)، ولكن ظهر الانقسام بين أنصاره وأنصار أخوه المؤيد.[١٠] نجح الأشرف من استعادة الوحدة السياسية لليمن بعد الانتصار على المؤيد حتى توفي سنة ٦٩٦/ ١٢٩٦.[١١] عند تولي المؤيد للحكم خرج عليه المسعود بن المظفر بعد أن ضم إليه أشراف الزيدية، ولكن قوات المؤيد انتصرت على معارضيه، فوحد البلاد مرة أخرى حتى توفي سنة ٧٢١/ ١٣٢١.[١٢]

لا شك أن الفترة الطويلة التي حكم فيها بني رسول منطقتي تهامة وجنوب اليمن، أكثر من قرنين من الزمن، كانت مهمة في التاريخ المبكر وتاريخ العصور الوسطى لليمن. وظهرت أهمية هذه الفترة منذ عهد أسلافهم، الأيوبيين، حيث استفاد بني رسول ،بشكل كامل، من جيوشهم الكبيرة للسيطرة على المنطقة التي تُركت في نهاية المطاف لهم. تمكن بني رسول من بناء ما خلفة بني أيوب من إنجازات، فقد كان موظفي بني رسول قادرين ومتمرسين مثل الأيوبيين، علاوة على أن البيت الرسولي نفسة كان ينعم بالمثقفين والموهوبين الذين أوجدوا جهودًا علمية كبيرة في اليمن. فكتب الرسوليين في العديد من التخصصات، بدءا من التاريخ والسيرة إلى علم الأنساب والزراعة.[١٣]

ذروة الإنتاج والتنوع الزراعي في اليمن كانت في عهد بني رسول،[١٤]حيث سيطرت الدولة على الإنتاج الزراعي في أجزاء كثيرة من البلاد،[١٥] بل ان سلاطين بني رسول أنفسهم كانوا بستانيين ومهتمين بالزراعة،[١٦] فكان هناك مسكن ملكي في ثعبات يطل على حديقة مكتظة بالأشجار من كل اتجاه،[١٧] وكذلك حديقة ذات مبان كبيرة، بالإضافة إلى المزارع والبساتين والحدائق التي يمتلكها سلاطين بني رسول في المهجم وزبيد.[١٨] وكان السلطان الأشرف الأول يجلس تحت أشجار النخيل في زبيد ويحتفل بيوم "سبوت السبوت".[١٩] وقد كان الأشرف باحثاً متميزاً فألف أكثر من اثني عشر كتاباً[٢٠]على سبيل المثال: "*ملح الملاحة في معرفة الفلاحة*"[٢١] و *التبصرة*

---

[١٠] ابن حاتم، السمط الغالي، ص ٢٨٠.

[١١] عليان، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة، ص ٥٧-٥٨.

[١٢] الخزرجي، العقود، ج ١، ص ٣٠٨-٣٠٩.

[13] Smith, G. R. "The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1-945 622-1538)": Studies in the Medieval History of the Yemen and South Arabia, Variorum (1997), p. 136.

[14] Varisco, D. M. "A Royal Crop Register from Rasulid Yemen", Journal of the Economic and Social History of the Orient, Leiden: E. J. Brill, (1991: 1-122), vol. 34, p. 5.

[15] Varisco, D. M. Medieval Agriculture and Islamic Science: The Almanac of a Yemeni Sultan. Seattle: University of Washington Press, 1994, p. 157.

[16] Varisco, "A Royal Crop", p. 3.

[١٧] القلقشندي، أحمد بن علي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧/ ١٩٨٧، ج ٥، ص ٨-٩.

[١٨] نفس المصدر، ج ٥، ص ٩.

[١٩] Varisco, Medieval Agriculture, p. 158.تعريف عن هذا الاحتفال سيأتي لاحقاً، عند الحديث عن النخيل، في هذه الدراسة.

[٢٠] نفس المرجع، ص ١٤، ١٥، ١٦.

[٢١] الأشرف، عمر بن رسول. ملح الملاحة في معرفة الفلاحة. تحقيق عبدالله المجاهد، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٨/ ١٩٨٧.

في علم النجوم"[٢٢]. في هذين العملين، قام بتجميع عدد هائل من المعلومات عن الدورة الزراعية والتغيرات الموسمية ونصائح قيمة في الزراعة من خلال تجربته الخاصة والتقاليد العلمية لذلك الوقت.

بالرجوع إلى مصدرين مهمين في تاريخ الدولة الرسولية وهما: "*نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف*"[٢٣] و "*ارتفاع الدولة المؤيدية: جباية بلاد اليمن في عهد السلطان الملك المؤيَد داود بن يوسف الرسولي*"،[٢٤] يلحظ القارئ والمهتم بهذه الفترة شكلا جديداً في التدوين والكتابة في المصادر الرسولية المعاصرة، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن من شارك في تدوين هذين المصدرين هم كُتّاب وموظفو الدولة الرسولية مما قد يعطي أهمية وقيمة لهذه الدراسة. فالمصدرين يحتويان على معلومات قيّمة ومهمة عن النظم والقوانين الزراعية في عهد بني رسول.

تُركز الدراسة الحالية: " دراسة تحليلية للأنظمة الزراعية في اليمن (٦٢٦ – ٧٢١هـ / ١٢٢٩ – ١٣٢١م)" [٢٥] على النظم والقوانين التي سنتها الدولة الرسولية في الشأن الزراعي ومدى تأثير ذلك على العائد المادي لخزينة الدولة.[٢٦] وتبدأ فترة الدراسة منذ نشأة الدولة في عهد المؤسس الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول مروراً بعهد ابنه الملك المظفر يوسف بن عمر وحتى نهاية عهد الملك السلطان المؤيد داود بن يوسف.

النظم والقوانين الزراعية

تتحدث المصادر عن السياسات والقوانين المتعلقة بـــ "عمارة الأرض"، أي زراعة الأراضي لزيادة المحاصيل الزراعية، وما يترتب على ذلك من زيادة في الخراج والضرائب التي تعود بالفائدة على خزينة الدولة. ويُطلق على موظفي الدولة المسؤولين عن تلك المهمة لقب "المُشِد"[٢٧]،

---

[٢٢] الأشرف، عمر بن رسول. كتاب التبصرة في علم النجوم. بريطانيا: مخطوطة مكتبة البودليان، أكسفورد، رقم: ٢٣٣.

[٢٣] نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف. تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٣.

[٢٤] ارتفاع الدولة المؤيدية: جباية بلاد اليمن في عهد السلطان الملك المؤيَد داود بن يوسف الرسولي. تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية والمعهد الألماني للآثار، ٢٠٠٨.

[٢٥] نظراً لصعوبة قراءة الوثائق الديوانية في المصدرين المذكورين أعلاه نور المعارف وارتفاع الدولة المؤيدية، حيث أن المعلومات فيهما متفرقة في اجزاء مختلفة من الكتابين وذات لغة معاصرة يصعب، أحياناً، فك رموزها، فنقصد بـــ "دراسة تحليلية" أي فك رموز لغة ذلك العصر ومقارنة الوثائق في نفس المصدرين لسردها في نص الدراسة الحالية.

[٢٦] الجرافي، القاضي عبدالله عبدالكريم. المقتطف في تاريخ اليمن. الطبعة الثانية، ١٤٠٧/ ١٩٨٧، ص ٤١-٤٢.

[٢٧] نور المعارف، ج١، ص٣٢. واللفظ آت من الشد، وهو شد الأموال وتحصيلها من الجهات والأفراد وإيصالها إلى خزانة الدولة، والاهتمام بحث المزارعين على ري أراضيهم واستصلاحها وللمُشِد حق التصرف في جهته. وهي من وظائف الديوان ويُعين عليها إما من عوام الناس أو من أحد الأجناد. انظر: الحسيني، الحسن بن علي الشريف. ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب. ايطاليا:

حيث يجب أن تتوفر لهم المعلومات الكافية عن توقيت نزول الأمطار وزراعة المحاصيل المختلفة في المنطقة التي تكون تحت إشرافهم ومسئوليتهم، ويتلقى المُشِد تعليمات واضحة وصارمة لحضور عمله كل يوم، وعليه أن يتعامل مع المزارعين بعين اللطف ويقدم لهم ما يحتاجونه من دعم.[٢٨] بالإضافة إلى ذلك، يُطلب منه الاتصال بشيوخ المنطقة وحثهم على إرشاد المزارعين لإعادة بناء قنوات الري المتضررة وأن تكون الأراضي جاهزة للزراعة قبل حلول موسم الأمطار. وإذا تم العثور على قطعة أرض بلا رعاية أو اهتمام فإن صاحبها يُسأل عن سبب ذلك، وإذا لزم الأمر فقد يحصل على تخفيض في رسوم الضرائب كحافز لاستصلاح أرضه وزراعتها. أما إذا أهمل زراعة الأرض ولم يدفع الرسوم السنوية فقد يؤدي ذلك إلى مصادرة الأرض كعقوبة له. في المقابل، تصدر تعليمات للمزارعين بضرورة الإبلاغ، وبشكل سريع، عن أي ضرر لمحاصيلهم نتيجة للجراد أو الصقيع أو الفيضانات أو لأي سبب آخر، وعند التأخر في الإبلاغ عن الحادث يتم رفض الشكوى. وفي حال الإبلاغ عن كارثة في الوقت المناسب، ترسل الدولة موظفيها "المباشرين" لتقييم الضرر. وكان للمزارع أو صاحب الأرض الحق في تعيين ممثل للعمل مع "المباشرين" شريطة أن يتصف بالصدق والثقة وليس بدافع الحاجة أو الطمع. وإذا تُلفت المحاصيل بالكامل فيتم إلغاء جميع الضرائب، أما إذا كان الضرر جزئياً فتُخفض الضرائب المفروضة.[٢٩]

كانت التقاويم[٣٠] الزراعية تحدد أوقات سقوط الأمطار وزراعة المحاصيل وغيرها من الأنشطة المتنوعة التي يقوم بها المزارعون في اليمن كونه بلداً زراعياً.[٣١] المصادر الرسولية المعاصرة دوَّنت التقويم الزراعي لليمن مرتباً حسب الشهور بإبراز الأنشطة المختلفة التي كان يقوم بها المزارعون في كل يوم من أيام السنة، وتُبين هذه التقاويم الزراعية أوقات الظواهر المختلفة للمناخ مثل: ارتفاع درجة الحرارة وانخفاضها، وكمية الأمطار، وتوفر مياه العيون، وأنواع الرياح، بالإضافة إلى معرفة الوقت المناسب لزراعة المحاصيل الزراعية، وتعهدها وحصادها.[٣٢] وبالتالي فإن أوقات الزراعة والغرس كانت في شهور وفصول محددة

صورة من مخطوطة الأمبروزيانا، رقم: H130، ١١– أ.

[٢٨] ارتفاع الدولة المؤيدية، ص ١٢، ٦٢، ٦٣، ٩١، ١٠٥، ١٠٦، العامري، يحيى بن أبي بكر. غربال الزمان في وفيات الأعيان. دمشق: دار الخير للنشر والتوزيع، ١٤٠٥/ ١٩٨٥، ص ٥٧٢، الخزرجي، العقود، ج١، ص ٢٣٤.

[٢٩] ارتفاع الدولة المؤيدية، ص ١٢، ٦٢، ٦٣، ٩١، ١٠٥، ١٠٦.

[٣٠] التقويم الحميري من أقدم تقاويم اليمن القديمة السنوية حيث يبدأ سنة ١١٥ق.م. أنظر، يوسف، محمد عبدالله. "مدونة النقوش اليمنية القديمة"، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، ع٣، ١٣٩٩/ ١٩٧٩، ص ٣١، ٥٠.

[٣١] المندعي، داود. الزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية. رسالة ماجستير. الأردن: جامعة اليرموك، ١٤١٢/ ١٩٩٢، ص ١٠٠.

[٣٢] نفس المرجع ، ص ١٠١.

ومعروفة وإذا ما خالف المزارعون تلك الأوقات فإن الزرع لا ينمو ولا يثمر.[٣٣]

تعتبر تربة اليمن تربة خصبة كما وصفها الجغرافيون،[٣٤] وتنقسم التربة إلى أنواع متعددة من حيث سهولة وصعوبة حرثها، وتحمل درجة الحرارة، والاحتفاظ بالماء، والامتصاص وما يجود فيها من أنواع المحاصيل الزراعية إلى التربة المناسبة، والجبلية، والرملية، والبيضاء، والمدمنة السوداء المحترقة، والصفراء، والحمراء، والمالحة، والغليظة، والحرشا المضرَّسة، والمكدِية المائلة للحمرة.[٣٥]

كان للمزارعين طرق متعددة لمعرفة جودة التربة من رداءتها أو صالحة للزراعة من عدمه، وذلك بحفر حفرة بقدر ذراعين أو ثلاثة أذرع ويُجلب من أسفلها قدر محدد من الطين وتوضع في اناء زجاجي، ثم يُسكب عليه ماء وادٍ عذب أو مطر ثم يُرج، بعد ذلك يُترك حتى يركد للذوق والشم، فإذا كان عذباً فالأرض عذبة وإذا كان مالحاً فالأرض مالحة، أما الريحة النتنة فدليل على أن الأرض غير ملائمة للزراعة.[٣٦] وبطريقة أخرى، يتم حفر حفرة قدر شبر في شبر ويُجلب ترابها ثم يفتت ويعُاد لنفس الحفرة، فإذا نقص التراب عن مستوى سطح الحفرة فالأرض رديئة، وإذا لم يزد أو ينقص فالأرض متوسطة، أما الأرض الجيدة تُعرف إذا زاد الطين فوق مستوى سطح الحفرة.[٣٧]

إذا كانت الأرض مهيأة للزراعة فيستلزم ذلك حفر قنوات الري وترميمها وكذلك حرث الحقول. واذا كانت الأرض ذات تربة صلبة، كما هو الحال في تعز والمناطق المحيطة بها، يجب أن تُحرث ثلاث مرات في السنة: المرة الأولى في ديسمبر أو يناير لتحريك التربة، ثم في فبراير شباط لتخفيف ذلك، وأخيرا في مارس أو ابريل نيسان عند ذري وزراعة البذور.[٣٨] ونستشهد بذلك من ما ذكره الملك الأشرف عمر في كتابه "*ملح الملاحة*" عند زراعة القمح "البر" فيجب أن تحرث الأرض ثلاث أو أربع مرات. وفي زراعة حبوب "الدخن" تحرث مرتين أو ثلاث مرات. أما عند زراعة "السمسم" فتُحرث أربع أو خمس مرات. وعند زراعة "الفوة"[٣٩] فتحرث عدة مرات وقد تصل إلى عشرين مرة.[٤٠] وتوضح التعليمات أنه عند بذر البذور بأن يُقَسَّم وقت بذرها في الشهر الواحد إلى ثلاث أثلاث، في بداية الخريف وثلث في المنتصف

---

[٣٣] الأفضل، عباس بن المجاهد. بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين. صنعاء: مخطوطة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير، رقم ٢٨٩٢ (زراعة)، ٢٣ب.

[٣٤] الإدريسي، أبو عبدالله محمد. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. نابولي: معهد الدراسات الشرقية، ج٢، ١٩٦٥-١٩٧٧، ص ١٥٤، البكري، أبو عبيد الله. جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك. الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر، ١٩٧٧، ص٢٩.

[٣٥] الأفضل، بغية الفلاحين، ٦ب، ١١ب.

[٣٦] الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٧٦، الأفضل، بغية الفلاحين، ٧ب.

[٣٧] الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٧٦، الأفضل، بغية الفلاحين، ٧ب.

[٣٨] نور المعارف، ج١، ص ٣٧٠.

[٣٩] هي عروق طوال حمر يُصبغ بها. الزبيدي، محمد مرتضى. تاج العروس في شرح جواهر القاموس. بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ، ص ٩٨. وللمزيد عن نبتة "الفوة"، سيأتي لاحقاً في هذه الدراسة.

[٤٠] الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٨٧-١٨٨.

وثلث في آخره، ولا يُزرع في يوم ريح ويُفضل في وقت زيادة القمر.[٤١] ويُستحب بذر الحبوب القوية الجديدة الصحيحة الرزينة غير المغسولة، وخالية من السوس والعفن، ولم تتعرض للمطر، ولم تتغير،[٤٢] كما تحتاج إلى مزارع مُلم وذكي في معرفة الأرض، وملاءمة كل صنف منها لمحصول معين.[٤٣] ولادخار البذور لزراعتها في العام التالي، فيُختار أجودها، والكبيرة، ومن أزكى السنابل، وبعد تجفيفها تربط بالحنايا وتُحفظ في مكان جيد الهواء بعيداً عن الشمس والرطوبة حتى لا تسوس، وبعد عام تكون هذه البذور جاهزة للزراعة.[٤٤] وتُملي القوانين على المزارعين بأن المحاصيل التي تسقط عليها الأمطار أو التي يلحقها ندى لا يتم حصادها إلا بعد أن تجف السنابل، وتوضع في مكان بعيد عن المطر والندى.[٤٥]

ورغم أن هذه ليست سوى ما تمليه طبيعة التربة، إلا أن القوانين تُحدد أجور الثيران التي تعمل كزوج بربع وثمن دينار وذلك قيمة الحراثة في ديسمبر أو يناير حتى وقت الظهر، و ربع دينار في فبراير لأن الأيام قصيرة، ودينار واحد وقت البذر إذا عملت الثيران يوماً كاملاً، كما بلغ أجر زارع البذور خمسة زبديات.[٤٦]

حرص المزارعون على تسميد التربة واستخدموا في تسميد الأراضي الزراعية أنواع مختلفة من الأزبال، والزبل يُخلط مع التبن وهي زبل الخيل، والحمير، والبقر، والماعز، والضأن.[٤٧] وتحضير الزبل على ثلاثة أوجه: الأول، الذي يوافق أنواع التربة المختلفة، ويستخدم طيلة أيام السنة وذلك بحفر حفرة وتملأ بالأعشاب، والتبن، والرماد، ويُسكب عليه الماء ويُقلب عدة مرات، والثاني، يُخلط مع ثلاثة أحمال تراب حمل زبل مضاف، وبعد عام يُضاف عليه زبل حمام، أما الطريقة الثالثة، يؤخذ عشرون حملاً من تراب ويُخلط عليه حمل زبل حمام ويُستخدم بعد عام.[٤٨]

وجهت الدولة الرسولية اهتماماً خاصاً بنظام الري حيث كان موضع اهتمام معظم السلاطين الرسوليين فكانوا يقومون بالاطلاع مباشرة على المعاقم وهي عبارة عن حاجز من الطين والأشجار والتبن ويوضع في وسط الوادي بهدف رفع منسوب المياه من الوادي إلى الأراضي المرتفعة عن منسوب مياه الوادي التي تشيدها الدولة والمزارعون.[٤٩]

---

[٤١] الأفضل، بغية الفلاحين، ١٨أ.
[٤٢] الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٧٦، الأفضل، بغية الفلاحين، ١٨ب.
[٤٣] الأفضل، بغية الفلاحين، ١٨ب.
[٤٤] الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٨٣، الأفضل، بغية الفلاحين، ٣١أ.
[٤٥] الأفضل، بغية الفلاحين، ٣٤أ.
[٤٦] نور المعارف، ج١، ص ٣٦٨، ٣٧٠.
[٤٧] الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٧٦، الأفضل، بغية الفلاحين، ١١ب، ١٤أ.
[٤٨] الأفضل، بغية الفلاحين، ١٣، ١٦.
[٤٩] مجهول. تاريخ اليمن في الدولة الرسولية. تحقيق هيكو ايشي ياجيما، طوكيو: مركز الدراسات الآسيوية والأفريقية، ١٩٧٦، ص ١٢٨، ٢٩٨.

حثت الدولة الرسولية موظفيها في الديوان بالاهتمام بري الأراضي الزراعية للمزارعين في كافة الجهات. فعلى "المستوفي" معرفة ما يسقى من المزارع في كل الجهات للدولة. من جهة أخرى، كان "المُشد"، في الجهة التي تحت إشرافه، يقوم باستصلاح واستغلال الأراضي الزراعية في الوديان إن كانت تُسقى ومحاولة سقي الأراضي التي لا تصل إليها المياه و إصلاح الشعوب والوديان، والعقوم والرقاب والعقائد والرؤوس، ويبدأ بالسقاية للمزارعين الأعلى أولاً ثم الأسفل فالأسفل، وإذا ما سقى لأحد من المزارعين في المناطق السفلى دون أن يكتفي من هم بالمناطق الأعلى يصدر قرار بتأديبه وعزله وندب غيره.[٥٠]

تعتمد الزراعة في اليمن على الري من مصادر متنوعه،[٥١] فحرص سلاطين بني رسول باستغلال وتنظيم موارد المياه المختلفة بحث "المُشدين" بالجهات المختلفة باستغلال مياه الأمطار، ومياه العيون، وبناء القنوات، والقناطر، والجسور، والبرك بالآجر، والحجارة، والجص لإيصال المياه إلى أراضي سلاطين بني رسول، وكذلك أراضي المزارعين سواء كانت قريبة أم بعيدة ولحجز المياه من تدمير الأراضي الزراعية وقت الفيضانات، وخاصة في مواسم سقوط الأمطار.[٥٢] وكانت الأودية شريان مغذي للأراضي الزراعية، أشهرها وادي مور الذي تتجمع فيه المياه من مناطق اليمن كافة، وكان يُسمى "ميزاب تهامة"،[٥٣] وتبدأ مساقطه من غربي همدان وخولان ثم يسير غرباً حتى البحر، ويتلوه في الكبر وادي زبيد،[٥٤] وغيرها من الأودية التي كانت تصب في تهامة ومنها تدفع في البحر.[٥٥] ومساقط هذه الأودية في الهضبة والمنطقة الجبلية الغربية من اليمن مروراً بسهل تهامة من جهة الشرق إلى الغرب، وهذه الأودية متوسطة المساحة.[٥٦]

كان مالكي الأراضي الزراعية القريبين والبعيدين من مجار الأودية يجدون معاناه في توصيل المياه إلى جهاتهم كما حصل بين المزارعين على وادي زبيد، حيث دب الاختلاف حول تقسيم المياه من الوادي فاحتكموا إلى

---

[٥٠] الحسيني، ملخص الفطن، ١٣أ. متولي، محمد. جغرافية اليمن الشمالي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨، ص ٢١٨.، الأهدل، حسن. كشف القناع في معرفة أحكام الزرع. مجلة الإكليل، العدد الأول، ١٩٨٠، ص ١١٦.

[٥١] ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر. كتاب الأعلاق النفيسة. ليدن: دي جويه بريل، ١٨٩١، ص ١٢.

[٥٢] الخزرجي، العقود، ج٢، ص٢٢٣، ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي. بهجة الزمن في تاريخ اليمن. تحقيق الحبشي والسنباني، صنعاء: دار الحكمة اليمنية، ١٤٠٨/ ١٩٨٨، ص ٢٤٠، ٢٤١، ابن الديبع، قرة العيون، ج٢، ص١٢٥.

[٥٣] العرشي، القاضي حسين بن أحمد. بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى اليمن من ملك وإمام. تحقيق محمد العرشي، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ٢٠٠٨، ص ١٣٤-١٣٥.

[٥٤] الصليحي، عبدالجواد عبدالصمد. جغرافية المحاصيل الزراعية الرئيسية في اليمن. رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، ١٤٠١/ ١٩٨١، ص ٢٠٥.

[٥٥] العرشي، بلوغ المرام، ص ١٣٤-١٣٥.

[٥٦] الهمداني، الحسن بن أحمد. صفة جزيرة العرب. صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠/ ١٩٩٠، ص ١٣٦-١٤٠.

الشرع وقام القاضي بحل هذا الاختلاف بأن خصص للمزارعين أصحاب الشُرج القنوات مدداً زمنية معلومة، ولأهل الوسطى، والسفلى كذلك، الذي ضل ساري المفعول حتى نهاية عصر دولة بني رسول.[٥٧]

مما تجدر الإشارة إليه أن الدولة الرسولية سنت قوانين تتعلق بنظام بيع وشراء وتأجير الأراضي الزراعية، وكذلك نظام الشراكة[٥٨] الزراعية أو حصة الزراعة. فعند بيع الأراضي الزراعية، تؤكد الأنظمة على أهمية أن يكون السعر مناسباً وإلاّ يتم تعيين محكمين عدول، من ذوي الخبرة وموثوق بهم، لإعطاء تقدير مقبول. وإذا كانت الأرض مزروعة بالمحاصيل، فيحق للبائع بشكل قانوني جني ثمار عمله الدؤوب وأن يتقاسم العائد بالتساوي مع المشتري، وهذا النظام يُعرف باسم (نصاف).[٥٩] في المقابل، فإن الشخص الذي يستأجر الأرض طيلة الموسم الزراعي في مقابل أن يدفع للمالك حصة معينة من المحصول، يتم تحديد هذه الحصة بعدة عوامل: سعر الأرض، ومستوى الخصوبة، ومصدر الري.[٦٠]

من قوانين الدولة الرسولية في زراعة الحبوب، أن حصة الزراعة تتخذ شكلين: شريك و بتول. الشريك هو الشخص الذي يستخدم ثيرانه أما الأخير فهو الشخص الذي يستخدم الثيران التابعة لمالك الأرض. ويتم تحديد حصة الشريك من خلال نوعية الأرض، وتتراوح بين ربع وسدس المحصول بعد خصم الزكاة، وأجور المزارعين وقت الحصاد وتكاليف البذور المزروعة بالإضافة إلى واجباته ومسؤولياته الزراعية. وعلى الشريك توفير وجبة مطبوخة تتكون من الخضروات والخبز طيلة موسم الحصاد لوكيل مالك الأرض ومن يحصدون المحاصيل الزراعية. وفي المقابل يتلقى البتول إما خمسة عشر زبدية من دقيق الذرة، أو عشرين زبدية من الذرة الرفيعة الحمراء كأجر شهري، بالإضافة إلى ٥٪ من المحاصيل بعد خصم الزكاة وتكاليف زراعة البذور، وأجور المزارعين والحُصّاد. وكانت أجرة الحصادين بناءً على العرض والطلب: درهم واحد في حال توفرهم، وأكثر من ذلك عند ندرة الحصول عليهم ويحدث هذا في موسم الحصاد، وكان يطلق على رئيسهم اسم "سائق" لحثهم على بذل مزيد من الجهد في العمل ويحصل على نفس الأجر.[٦١] وكان يُفضل استئجار الشباب في عملية الزراعة لأن الشباب أقوى وأطوع على انحناء الظهر، والانكباب على العمل.[٦٢] أما في زراعة الكروم فيكون المزارع قصيراً لأن القصير لا يحتاج إلى أن يحني ظهره وبالتالي فلا يعيا سريعاً مثل الطويل.[٦٣]

---

[٥٧] المندعي، الزراعة في اليمن، ص ٨٧، ٨٨.

[٥٨] يذكر الخزرجي مصطلح "المشاركين" في الأراضي الزراعية عندما وقعت مشاجرة سنة ٧٩٠ هـ بين أمير زبيد وقاضيها، فكان الأمير يرسل غلمانه والقاضي يرسل شركاءه. العقود، ج٢، ص ١٦٦.

[٥٩] نور المعارف، ج١، ص ٣٨٤.

[٦٠] نفس المصدر، ص ٣٧٢،٣٧١.

[٦١] نفس المصدر، ص ٢٧٢-٢٧٤.

[٦٢] الأفضل، بغية الفلاحين، ١٨أ.

[٦٣] نفس المصدر، ١٨أ.

تم تحديد أجور الأشخاص المرتبطين بزراعة الحبوب، وعلى الرغم من اختلافها من منطقة إلى أخرى، بشكل عام ، يُدفع للشارح (حارس المحاصيل الزراعية) ١٪ من المحصول الذي قام بحمايته وحراسته، والخبيط (من يخبط سنابل الذرة والدُخن بمخابط من الخشب)[٦٤] ١.٤٪ من المحصول بعد تنظيف المحصول من الشوائب والقشور، وخمسة دنانير لمطحنة الطحين لكل مئة زبدي من الدقيق أنتجها، وربع دينار للخباز مقابل كل ثلاثة ونصف رطل من الخبز الذي خبزه. وفي نظام مراقبة الأسعار في الدولة، تم تحديد سعر لفائف الخبز: ثمن دينار في المهجم، وما بين نصف دينار ودينار واحد للجونه بأكملها (سلة القشّ للاحتفاظ بالخبز)، وبحسب حجمها.[٦٥] كان الوقت المثالي لزرع بذور الذرة الرفيعة هو الخامس من مارس في المخلاف وعبدان[٦٦] والخامس عشر من الشهر نفسه في تعز.[٦٧] ويوصي الأشرف بزراعة نوعين من السوامي والعشاوي في أكتوبر، وفي نفس الشهر يتم حصاد الشب وغيرها من أنواع الذرة الرفيعة في الجبال،[٦٨] وكان حصاد السابعي، بجميع أنواعه، المعروف في المنطقة الساحلية، في ديسمبر.[٦٩]

يقدم *نور المعارف* معلومات قيمة عن الأنظمة والتعليمات التي تحكم زراعة محاصيل الحبوب بالإضافة إلى إنتاج الأراضي والمحصول. فالأرض ذات النوعية الجيدة في المخلاف، يتراوح العائد بين ٢٠٠ و ٢٥٠ أذهاب (مقياس)، وفي تعز، زراعة عشرة زبدي من البذور على أرض جيدة يكون انتاجها ٤٠٠٠ زبدي، أما العائد من الأرض ذات جودة متوسطة يكون ١٥٠٠ زبدي، و ٨٠٠–١٠٠٠ زبدي من الأراضي ذات الجودة المنخفضة.[٧٠]

العجور، وهو ساق الذرة الرفيعة، كان سلعة ثمينة حيث توفر علفاً ممتازاً للجمال والحمير والبغال. فعند زراعة عشرة زبدي من البذور في الأرض الجيدة يكون العائد ثلاثين حملاً، أما الأرض ذات جودة متوسطة فتُنتج ثلاثين حملاً.[٧١]

كانت زراعة القمح والشعير في تعز وصنعاء والمخلاف.[٧٢] ويشير الأشرف إلى أن الوقت المثالي لزراعة هذه المحاصيل في منحدرات الجبال بين أواخر مايو ومنتصف يوليو.[٧٣]

تتم عملية فصل الحبوب عن السنابل في مكان يسمى البيدر (المجران) ويكون موضع مرتفع من أجل الرياح وسهولة ابعاد الاتبان عن الحبوب، وبعيد عن المساكن لكي لا يضر أبصار ومأكل الناس، وبعيد عن الثمار لكي لا يضرها رغم أن غبار البيدر (المجران) ينفع

---

[٦٤] المَخَابِط أو الحَنَايا عبارة عن أعواد تؤخذ من فروع الشجر وتحنى أطرافها ليتمكن المزارعين من استخدامها في خبط السنابل لفصل الحبوب عنها. أنظر الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٨٦، الأفضل، بغية الفلاحين، ٣٢أ، ٣٧أ، ٦٣أ.

[٦٥] نور المعارف، ج١، ص ٣٧٤، ١٠٥، ٣٥٦، ٢٢٢.

[٦٦] ارتفاع الدولة المؤيدية، ص ١٦٠.

[٦٧] نفس المصدر، ص ١١٥.

[68] Varisco, Medieval Agriculture, p. 23.

[٦٩] نفس المرجع، ص ٢٦.

[٧٠] نور المعارف، ج١، ص ٣٦٨، ٣٧٦.

[٧١] نفس المصدر، ص٣٦٨.

[٧٢] نفس المصدر، ص٣٩٦.

[73] Varisco, Medieval Agriculture, p. 175.

اصول الشجر وأغصانها ولكنه يضر الورق والثمرة.[٧٤]

بعد زراعة الحبوب ودوسها، فما كان للاستخدام بشكل مباشر توضع الحبوب في أكياس بينما يتم تخزين الباقي في غرف تحت الأرض[٧٥] وتسمى (أجران) كمخازن يتم بناؤها بالحفر في الحجر، أو في أوانٍ فخارية كبيرة تُدفن في الأرض، وتُترك لسنوات عديدة دون أن تتعرض للتلف،[٧٦] أما حصة الدولة فيتم تخزين حصتها من المحصول الناتج عن الزكاة والضرائب الأخرى في الصوامع الخاصة وتسمى (أهراء) وكانت منتشرة في جميع أنحاء البلاد، ويديرها كتّاب الأهراء، وهو فريق إداري كبير يتألف من "ضامن"، حيث يسيطر على عملية البيع والشراء، والحُرَّاس، والكُتّاب الذين يقومون بمراجعة الحسابات وإعداد التقارير. وكان هناك نوع آخر من الصوامع تسمى (الهلالي) لتخزين منتجات الديوان من الحبوب والمحاصيل الأخرى.[٧٧]

أما عن زراعة القطن، *نور المعارف* يذكر لنا أن القطن ثلاثة أصناف رئيسية، وكانت تُزرع في أوقات مختلفة من السنة: وهي الهش، الذي يظهر في وقت حصاد الحبوب المتنوعة، والصربي، الذي يمكن ملاحظته بعد حصاد الذرة الرفيعة والمعروفة باسم السابعي، والصيفته، في أوائل مايو.[٧٨] النوع الأول، الهش، يتعفن ويموت إذا حصل على كمية كبيرة من مياه الأمطار، والمطر الغزير يطيل موسم الحصاد للنوع الثاني الصربي، في حين أن الصيفته لن يشهد موسم الأمطار وبالتالي سيعيش مما يفسر سبب وفرته في السوق.[٧٩]

كانت نبتة "الفوة" مهمة في الفترة الرسولية، الملك المظفر يصف "الفوة" بأنه شجيرة ذات جذور حمراء تعطي صبغة حمراء.[٨٠] في العصور الوسطى، كان الطلب على الفوة مرتفعا بشكل استثنائي، لا سيما من قبل التجار الهنود، وكانت قيمة وأهمية الفوة تصل إلى حد تقديمه إلى القضاة ورجال الدين كمكافأة أو هدية.[٨١] وقد تحدث ابن المجاور عن ارتفاع الأسعار والطلب على الفوة، ففي عام ٦٢٥/ ١٢٢٨ كانت المناطق الجبلية مزروعة بالكامل بالفوة بدلاً من الحبوب.[٨٢]

قام الملك المظفر، الذي كان منتجاً للفوة، بإصدار قانون ينص على أنه يجب على التجار شراء جزء من منتجاته الخاصة.[٨٣] وكذلك سُنت قوانين أخرى تتعلق بزراعة الفوة ونقلها وتسويقها،

---

[٧٤] الأفضل، بغية الفلاحين، ٣٨ب.
[٧٥] نور المعارف، ج١، ص ٣٧٥، ٣٧٦، ١١٧، ٥٢٥.
[٧٦] الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٨٣.
[٧٧] نور المعارف، ج١، ص ٣٧٥، ٣٧٦، ١١٧، ٥٢٥.
[٧٨] نفس المصدر، ص ٣٢١.
[٧٩] نفس المصدر، ص٣٢١.
[٨٠] المظفر، يوسف بن رسول. المعتمد في الأدوية المفردة. تحقيق مصطفى السقا، بيروت: دار المعارف، ١٤٠٢/ ١٩٨٢، ص ٣٧١.
[٨١] نور المعارف، ج١، ص ١٨١، ٥١٦.
[٨٢] ابن المجاور، أبو بكر محمد بن مسعود. صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦، ص ٢٠٣.
[٨٣] نور المعارف، ج١، ص ٤٩٩، ٥٠٠.

فوفقاً لأحد القوانين، يستلم الضمّان أو المستأجر الذي استأجر الأرض عُشر الإنتاج، بينما السُبع في منطقة القصيبة. ولغرس أو زراعة بُهار[٨٤] واحد من محصول الفوة، كان يُدفع للعاملين اثنين ونصف دينار، أما في حال تأثر المحصول بالعواصف المطرية أو البرد أو الفيضانات أو الجراد، يُعين الديوان عامل مباشر لتقييم الضرر وتحديد مقدار الضريبة التي سيتم خصمها.[٨٥]

يذكر *نور المعارف* أن الوظيفة المضنية المتمثلة في زراعة الفوة تُملي على المزارعين العمل من الصباح وحتى الظهر.[٨٦] أما بالنسبة لعملية الزراعة، فقد تم تحديد ذلك من خلال جودة المحصول: للحصول على أعلى جودة للفوة، كان هناك حاجة إلى أربعة أنواع من الثيران واثنى عشر عاملاً. وللجودة المتوسطة، كان يُطلب ثمانية ثيران وأربعة وعشرون عاملاً، واثني عشر ثوراً وستة وثلاثين عاملاً للنوعية المنخفضة، أما زراعة الفوة من دون ضمّان، فكان العامل يحصل على ثُمن دينار.[٨٧]

يتم نقل محصول الفوة على الجمال إلى مناطق مختلفة للاستخدام المحلي أو إلى عدن للتصدير.[٨٨] وقد تم تحديد رسوم نقل المحصول حسب الوضع الاجتماعي للمُنتِج. على سبيل المثال، العائلة المالكة أقل من ذوي الرتب العالية الذين كانوا يدفعون أقل بكثير من الفلاحين العاديين.[٨٩] يتم إرسال الفوة الواصل من الجبال إلى عدن وبالتحديد إلى (المتجر) ثم وزنه بميزان الوارد من أجل تقدير الضرائب المفروضة كعشور والضرائب الأخرى. في حال وصول محصول الفوة بجودة منخفضة أو عديم الفائدة، فكان للمالك خيارين، إما ترك محصوله يُتلف في الهواء الطلق دون دفع العشور، أو يدفع العشور ومن ثم نقلة إلى الدكاكين التجارية المجاورة على أمل أن يجد مشترياً. إذا قُرر تصدير الفوة، كان لا بد من إعادة وزنه، وهذه المرة بميزان الصادر وإعادة جباية الضرائب (العشور).[٩٠]

يشير ابن المجاور إلى أن أشجار النخيل زُرعت لأول مرة في عهد الصليحيين.[٩١] وفي رواية أخرى، يذكر أن الحبشيين أدخلوه عن طريق الصدفة في بداية الدولة المهدية. فكان الجنود الحبشيين يأكلون التمر ويرمون النوى على الأرض الرطبة، وبالتالي نمت أشجار النخيل فيما بعد.[٩٢]

كانت زبيد المكان الرئيسي لزراعة النخيل، وخلال موسم الحصاد يأتي الناس إلى زبيد من جميع أنحاء المنطقة،[٩٣] فيقيمون مهرجاناً كل يوم سبت لمدة شهرين، ويُسمى سبت السبوت، يرقصون ويشربون للاحتفال بحلول وقت الحصاد[٩٤] وكان ذلك في أوائل شهر مايو.[٩٥] ابن

---

[٨٤] وحدة وزن.
[٨٥] نور المعارف، ج١، ص ١٧٨، ٣٨١، ٣٨٢.
[٨٦] نفس المصدر، ص ١٨٠.
[٨٧] نفس المصدر، ص ١٨٠، ١٨١.
[٨٨] نفس المصدر، ص ١٧٩، ١٨٠.
[٨٩] نفس المصدر، ص ١٧٩.
[٩٠] نفس المصدر، ص ٤٩٦، ٤٩٧.
[٩١] ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٩٥.
[٩٢] نفس المصدر، ص ٢٣.
[٩٣] نفس المصدر، ص ١٩٧.
[٩٤] الخزرجي، العقود، ج١، ص ٢٤٤.
[95] Varisco, Medieval Agriculture, p. 52.

بطوطة زار زبيد في وقت لاحق، ويذكر أنه شاهد الناس يحتفلون بالمهرجان نفسه في بساتين النخيل.[٩٦] وكما ذكرنا سابقاً، فإن الملك الأشرف حضر هذا الاحتفال، كونه يملك مزارع نخيل في زبيد وكان يؤجرها للمزارعين مقابل مبلغ محدد من المال يتم دفعه سنوياً بغض النظر عن العائد، وكان هذا النظام يُعرف باسم "قبالة".[٩٧]

يبدو أن محصول التمور في اليمن كان للاستهلاك المحلي، حيث أن هذه السلعة لا تظهر في قائمة الصادرات، وفي واقع الأمر، تم استيراد التمور من جزيرة كيش ومصر ومكة.[٩٨] يتم نقل التمر من زبيد على الجمال ثم نقله إلى الأسواق ومتاجر الدولة. وكان للتمر استخدامات، فجزء من المحصول يُستخدم لصنع الدبس، وكذلك إعطاء التمور كهدية خاصة في حفلات الزفاف وكبار المسؤولين خلال شهر رمضان، وجزء يُستخدم كأجور للخدم بالإضافة إلى عطايا للأمراء المسجونين المعارضين للسلطان.[٩٩]

طبقت الدولة الرسولية قانون في زراعة أشجار الفاكهة، ويُعرف هذا القانون باسم "شراكة البساتين في عبدان"، ويتكون هذا القانون من جزأين: أحدهما كان يُطبق على مزارع العنب فقط، بينما تم تطبيق الآخر على أشجار الفاكهة الأخرى. ووفقًا لشراكة مزارع العنب، يدفع مالك الأرض للشريك ٢٠٪ من المحصول نظير ما يقدمه الشريك من خدمات كتقشير وتنظيف الكرمة، وحفر قنوات الري، وبناء الجدران والأسوار، وحرث التربة، وحراسة البستان حتى آخر يوم من الحصاد. في المقابل كانت أجرة الدمّال (السمّاد) بالاتفاق بين المالك والشريك، ولكن، بموجب القانون، كان مالك الأرض مسؤولاً عن دفع أجور السائق الذي كان مسؤول عن تحميل المحاصيل على الحمير أو البغال. أما السفرجل، والبرقوق، والرمان، وبساتين أشجار الفاكهة الأخرى، فيحصل الشريك على ٢٠٪ من المنتج، ولكن عليه حرث البستان مرة واحدة على الأقل خلال الموسم.[١٠٠] وتشير الأنظمة عند غرس الأشجار، بأن يُختار الطري وأن لا يكون ورقة يابس أو لزج بل يكون مُخضر، والابتعاد عن الذي مال إلى الشيخوخة وبدأت أغصانه تميل إلى الجفاف.[١٠١]

وفي حديث الفاكهة المحمولة من عدن إلى تعز، يذكر لنا *نور المعارف*:

"الحمل ستة أجناب سفرجل ورمان، الجنب الواحد الرمان يبلغ مائة وعشرين حبة، وقد مائة وخمسين. والجنب السفرجل مائتين حبة. وأما بيع الفاكهة في عدن فعلى قدر الزبون، فإذا كان زبون جبر كان الجنب الرمان بعشرة، والجنب

[٩٦] ابن بطوطة. رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٧/ ١٩٩٦، ص ٢٥٦.
[٩٧] نور المعارف، ج١، ص ٤٠٦.
[٩٨] نفس المصدر، ص ٤١٦، ٥٢٢، ٥٤٦.
[٩٩] نفس المصدر، ص ٤٠٨، ٥٥٨، ٢٤٩، ٥٨، ٥٧٥، ٥٣٠، ٥٧١–٥٧٤.
[١٠٠] نفس المصدر، ص ٣٧٧–٣٧٩.
[١٠١] الأشرف، ملح الملاحة، ص ١٧٦، الأفضل، بغية الفلاحين، ٢٣ب، ٢٤أ.

السفرجل بسبعة وستة، وإذا لم يكون زبون [جبر] كان الجنب الرمان سبعة وستة وخمسة، والجنب السفرجل خمسة."[١٠٢]

نور المعارف يضيف أن الفاكهة التي تخرج من عدن للبيع في تعز يجب أن تخضع للضريبة أولاً، وعادة ما يكون ثمن دينار لكل جنب، ويمكن للتجار الذين لم يتمكنوا من دفع الضرائب مقدماً أن يدفعوها عند عودتهم من تعز خلال فترة لا تتجاوز نصف شهر.[١٠٣]

كانت حقول الخضروات تُسمى (مباقل)، وكان من الممكن استئجار حقول الخضروات من مالك الأرض ولم يكن مسموحا بالشراكة. لكن القانون لا ينص على حصة "الضامن"، ولكنه يعطي إرشادات عامة تعتمد على نوعية الأرض: ٢٥٪ للأراضي ذات التربة المتوسطة، و ٥٠٪ للأراضي ذات التربة الجيدة.[١٠٤]

الخاتمـــة

كانت النظم والقوانين الزراعية لدولة بني رسول ترتكز على "عمارة الأرض"، أي تهيئة الأرض للزراعة. بموجب القانون، على المزارعون المباشرة في أراضيهم، وبناء البرك، والقنوات، وحرث الأرض قبل موسم الأمطار. وللإشراف على هذا العمل، كان لدى الدولة فريق من الموظفين، المُشِد، حيث يتلقون التعليمات للتوجه إلى المناطق وتنفيذ واجباتهم والاتصال بالشيوخ المحليين. عادة يتم تزويد المُشِد بمعلومات عن تضاريس الأرض وتوقيت زراعة المحاصيل المختلفة، إضافة إلى تعليمات حول كيفية التعامل مع المزارعين بالحسنى والشدة في نفس الوقت. أما المزارعون المترددين في زراعة الأرض فقد يحصلون على النصيحة المناسبة لعمارة الأرض وكثيراً ما كانوا يحصلون على حوافز مثل تخفيض الضريبة عليهم ولكن، في بعض الحالات، لا تنجح هذه السياسة ويتم مصادرة الأرض. طيلة موسم الزراعة، كان على المزارعين أن يتبعوا تعليمات محددة تتعلق بالحراثة، وزراعة الأرض، والري، وإزالة الأعشاب الضارة وتنظيف الأرض من الشوائب، والحصاد. وفي حالة تعرض محاصيلهم للتلف نتيجة الإصابة بالآفات، كان لزاماً عليهم الإبلاغ عن الحادث في الوقت المناسب وطلب إعادة تقييم الضرائب.

امتدت قوانين بني رسول إلى بيع الأراضي وتأجيرها والشراكة في الأراضي الزراعية. ولضمان تحقيق العدالة لجميع الأطراف، يتم بيع الأرض بواسطة عدول من ذوي الخبرة بأسعار معقولة. في حال شراء أرض مزروعة، كان للبائع الحق في المطالبة بنصف المحصول نظير جهوده وعمله، وعند تأجير الأرض إلى ضامن، فيتم تحديد نصيبه من المحصول من خلال نوعية الأرض ونوع الفلاحين ومصدر الري. في شراكة الأراضي الزراعية، فهذا يأخذ أشكال متنوعة: ففي زراعة الحبوب، ميّز القانون بين الشريك الذي يستخدم ثيرانه والبتول الذي يستخدم ثيران مالك الأرض، وكانت لكلاهما

[١٠٢] نور المعارف، ج١، ص ٣٨٠.
[١٠٣] نفس المصدر، ص ٣٨١.
[١٠٤] نفس المصدر، ص ٣٧٩.

مسؤوليات مختلفة تجاه جميع العمال المشاركين في عملية الزراعة بما في ذلك الحُصَّاد وأولئك الذين يحثون المزارعين على العمل بجدية (سائق)، وقد تحددت أجورهم من خلال توافر الأيدي العاملة ومطالب السوق (عرض وطلب). وفي زراعة أشجار الفاكهة، فقد تم تطبيق قوانين مختلفة للشراكة والأجور بناءً على نوع المحاصيل والأراضي.

من نتائج هذه الدراسة أن معظم مناطق اليمن صالحة للزراعة مما حدا بالدولة الرسولية إلى حث الناس على زراعة وفلاحة الأراضي الصالحة للزراعة الواقعة على مصاب المياه وذلك بسن القوانين المنظمة لها مروراً بتسويق المنتج الزراعي محلياً أو خارجياً.

قائمة المصادر والمراجع العربية

١. أحمد، محمد عبدالعال. *بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية*. الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

٢. *ارتفاع الدولة المؤيدية: جباية بلاد اليمن في عهد السلطان الملك المؤيَد داود بن يوسف الرسولي*. تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية والمعهد الألماني للآثار، ٢٠٠٨.

٣. الإدريسي، أبو عبدالله محمد. *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. نابولي: معهد الدراسات الشرقية، ج٢، ١٩٦٥-١٩٧٧.

٤. الأشرف، عمر بن رسول. *كتاب التبصرة في علم النجوم*. بريطانيا: مخطوطة مكتبة البودليان، أكسفورد، رقم: ٢٣٣.

٥. -------. *ملح الملاحة في معرفة الفلاحة*. تحقيق عبدالله المجاهد، دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ١٤٠٨/ ١٩٨٧.

٦. الأفضل، عباس بن المجاهد. *بغية الفلاحين للأشجار المثمرة والرياحين*. صنعاء: مخطوطة بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير، رقم ٢٨٩٢ (زراعة).

٧. الأهدل، حسن. *كشف القناع في معرفة أحكام الزرع*. مجلة الإكليل، العدد الأول، ١٩٨٠.

٨. البكري، أبو عبيد الله. *جزيرة العرب من كتاب الممالك والمسالك*. الكويت: ذات السلاسل للطباعة والنشر، ١٩٧٧.

٩. ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي. *كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون*. تحقيق محمد الأكوع، القاهرة: المطبعة السلفية، بدون تاريخ.

١٠. ابن المجاور، أبو بكر محمد بن مسعود. *صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٩٦.

١١. ابن بطوطة. *رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. بيروت: دار إحياء العلوم، ١٤١٧/ ١٩٩٦.

١٢. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف. *الدليل الشافي على المنهل الصافي*. تحقيق محمد شلتوت، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٣.

١٣. ابن حاتم، بدر الدين بن محمد. كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن. تحقيق ريكس سمث، لندن: ميسرس لوكاس وكومباني المحدودة، ١٩٧٤.

١٤. ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر. *كتاب الأعلاق النفيسة*. ليدن: دي جويه بريل، ١٨٩١.

١٥. ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي. *بهجة الزمن في تاريخ اليمن*. تحقيق الحبشي والسنباني، صنعاء: دار الحكمة اليمنية، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

١٦. ابن فهد، النجم عمر بن فهد. *اتحاف الورى بأخبار أم القرى*. تحقيق عبدالكريم الباز، مكة المكرمة: مطبعة جامعة أم القرى، ١٤٠٨/ ١٩٨٨، ج ٣.

١٧. الجرافي، القاضي عبدالله عبدالكريم. *المقتطف في تاريخ اليمن*. الطبعة الثانية، ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

١٨. الحسيني، الحسن بن علي الشريف. *ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب*. ايطاليا: صورة من مخطوطة الأمبروزيانا، رقم: H130.

١٩. الخزرجي، علي بن الحسن. العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية. تحقيق محمد عسل، القاهرة: مطبعة الفجالة، ١٣٢٩/ ١٩١١.

٢٠. الزبيدي، محمد مرتضى. *تاج العروس في شرح جواهر القاموس*. بيروت: مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

٢١. الصليحي، عبدالجواد عبدالصمد. *جغرافية المحاصيل الزراعية الرئيسية في اليمن*. رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، ١٤٠١/ ١٩٨١، ص ٢٠٥.

٢٢. العامري، يحيى بن أبي بكر. *غربال الزمان في وفيات الأعيان*. دمشق: دار الخير للنشر والتوزيع، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.

٢٣. العرشي، القاضي حسين بن أحمد. *بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى اليمن من ملك وإمام*. تحقيق محمد العرشي، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ٢٠٠٨.

٢٤. العقيلي، محمد بن أحمد. *تاريخ المخلاف السليماني*، الطبعة الثانية، ١٩٨٢.، ج ١.

٢٥. القلقشندي، أحمد بن علي. *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*. بيروت: دار الفكر، ١٤٠٧/ ١٩٨٧.، ج ٥.

٢٦. المظفر، يوسف بن رسول. *المعتمد في الأدوية المفردة*. تحقيق مصطفى السقا، بيروت: دار المعارف، ١٤٠٢/ ١٩٨٢.

٢٧. المندعي، داود. *الزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية*. رسالة ماجستير. الأردن: جامعة اليرموك، ١٤١٢/ ١٩٩٢.

٢٨. الهمداني، الحسن بن أحمد. *صفة جزيرة العرب*. صنعاء: مكتبة الإرشاد، ١٤١٠/ ١٩٩٠.

٢٩. بامخرمة، أبو عبدالله الطيب بن عبدالله. *قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر*. صورة بدار الكتب المصرية، رقم: ١٦٧.، ج ٣.

٣٠. عليان، محمد عبدالفتاح. *الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد دولة بني رسول باليمن*. رسالة دكتوراه: جامعة القاهرة، ١٩٧٣.

٣١. متولي، محمد. *جغرافية اليمن الشمالي*. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٨.

٣٢. مجهول. *تاريخ اليمن في الدولة الرسولية*. تحقيق هيكو ايشي ياجيما، طوكيو: مركز الدراسات الآسيوية والأفريقية، ١٩٧٦.

٣٣. *نور المعارف في نظم وقوانين وأعراف اليمن في العهد المظفري الوارف*. تحقيق محمد عبدالرحيم جازم، صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، ٢٠٠٣.

٣٤. يوسف، محمد عبدالله. "مدونة النقوش اليمنية القديمة"، *مجلة دراسات يمنية*، صنعاء، ع٣، ١٣٩٩/ ١٩٧٩.

قائمة المراجع الأجنبية

35. Smith, G. R. "The Ayyubids and Rasulids: the transfer of power in 7th-13th-century Yemen", *Islamic Culture*, Hyderabad, 1969., p. 10.

36. ----------."Ibn Hatim's Kitab al-Simt and its place in medieval Yemenite historiography", *Studies in the History of Arabia: Sources for the History of Arabia*, University of Riyadh, 1978 .

37. ----------."The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion (1-945 622-1538)": *Studies in the Medieval History of the Yemen and South Arabia*, Variorum (1997).

38. Varisco, D. M. "A Royal Crop Register from Rasulid Yemen", *Journal of the Economic and Social History of the Orient*, Leiden: E. J. Brill, (1991: 1-122), vol. 34 .

39. ----------. *Medieval Agriculture and Islamic Science: The Almanac of a Yemeni Sultan*. Seattle: University of Washington Press, 1994.